

إن أصحاب الأدب في سبيل الحياة إذا سألتهم عن هذه الحياة التي يريدونها ، لم تجد عندهم جواباً مقنعاً .. لقد قرأوا هذه الكلمة في الكتب والصحف والمجلات ، فأخذوها على علاتها ، واستعملوها من غير تحقيق فيها ، ولاتتبت منها ، فقد يفهم بعضهم من هذه الكلمة أن الأدب يجب أن يسخر في سبيل الطعام والشراب ، وما يشبه الطعام والشراب من الحاجات المادية القريبة . وقد يفهم منها أن الأدب يجب أن يسخر لمذهب بعينه من مذاهب الإنسانية في السياسة والفلسفة والاجتماع ، وهو أن الأدب يجب أن يكون مسخراً لإقناع العامة وأشباههم بأن الحياة مادة ليس غير ، وبأن الروح وما يتصل بها من العقل والقلب أساطير هام بها القدماء ، وهي لاتغنى عن الناس شيئاً ..

ويتحدى الدكتور طه حسين أنصار فكرة الأدب في سبيل الحياة ، وأمثالهم أن يدلوه على أدب قديم أو أدب حديث لم يتجه إلى إرضاء الحاجة الإنسانية . وقد يذكر أصحاب هذه الفكرة غيرهم من الذين يدعون لفكرة « الفن للفن » وينصحهم الدكتور طه حسين بأن يجتاطوا في حديثهم عنهم ، لأن الذين يريدون « الفن للفن » لا يرتفعون بأنفسهم عن الجماعات الإنسانية ولا يجعلون أنفسهم ملائكة ، ولا يعيشون في السحاب ، ولا يلتزمون هذه الخرافة التي تسمى « البرج العاجي » . ولكنهم يرون للجماعة الإنسانية نفسها ، كما يرون لأنفسهم الارتفاع بين حين وحين عما يتصل بالمنافع العاجلة القريبة إلى ما هو أبقى منها وأرقى .

أما توفيق الحكيم فإنه يجعل الامتاع أهم غايات الأدب والفن ، ولا يسلم أبداً بأن رقى الإنسان هو في تقدم أسباب معاشه المادية . ولكن الرقى بالمعنى الإنساني المثالي شيء غير ذلك ، ويقول إن الإنسان الأعلى ليس هو ذلك الذي يضع كل شيء في فمه ، ولكنه ذلك الذي يشعر بحاجته إلى متع معنوية ، وأغذية روحية ، وأطعمة ذهنية ، لاعلاقة لها من قرب أو بعد بضرورات حياته المادية أو الجسمانية . ويقول : إن مطامع الناس شاءت أن تمتد أيديها الفانية إلى هذا الجوهر السامي ، لتسخره في شئون الأرض ، فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية ، فاستخدم الشعر أحياناً لمدح الملوك والأمراء ، من أجل المال والثراء ، أو لنشر الدعوة في الدين والسياسة من أجل الثواب أو الجزاء ، ولكن كلمة الفن هي العليا دائماً .

وقال توفيق الحكيم معلقاً على كلمة لأحمد أمين عاب فيها الأدب العربي المعاصر بتغلب النزعة الفردية عليه دون النزعة الاجتماعية - إن ذلك لايسلم به الأستاذ أحمد